رمضان
كله عبادة
فضيلة الشيخ
هاني حلمي
www.Manhag.Net

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

الحمد لله وكفى وصلى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى وآله المستكملين الشرفَ

ثم أما بعد،

فأسأل الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا

وأن يزيدنا علمًا ينفعنا

ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا

سؤال كثيرا ما أتوقف عنده في كل رمضان:

كيف يكون رمضان كله عبادة؟

فرمضان معلوم بعباداته سواء كان صيام في النهار والقيام في الليل وتلاوة القرآن وإفطار للصائمين لكن هل العبادة تتوقف عند هذه المعاني فقط؟

أم أن العبادة أعظم وأشمل من مجموعة العبادات الروتينية التي نعتادها في كل رمضان؟

السؤال: لماذا دائمًا بعد رمضان يتغير الحال؟

لماذا لا تستمر الشحنة الإيمانية التي نأخذها من رمضان معنا لوقت طويل؟

لماذا لا تتغير قلوبنا تغير كامل بحيث أنه بالفعل الواحد منا يولد ولادة جديدة من رمضان؟

ما الخطأ الذي نقع فيه ولذلك لا نصل إلى المعنى المطلوب من رمضان؟

فرمضان من صامهُ إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قامهُ إيمانًا واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه ..

فهل تشعر أو تشعري أن يكون الواحد مغفور له كيف يكون حاله وكيف يكون قبله؟

ما الخطأ الذي نقع فيه؟

الخطأ الذي نقع فيه، هو أحد الخطأين ..

أول شيء أننا للأسف الشديد لا نقوم بمقام العبودية ولا نفهم معنى العبودية على الوجه الذي يرضي رب البرية،

فأول شيء أن مفهوم العبادة عندنا فيه قصور

والمعنى الثاني أن مفهوم لذة العبادة عندنا أيضًا مُختلف

فهاتين النقطتين نريد أن نتناولهم اليوم فنريد أن نستحدث قلب جديد ونقبل على الله سبحانه وتعالى إقبال مختلف ولا نريد العبادات الروتينية

حتى العبادات التي لابد أن نقوم بها نريد أن نستحدث فيها معنى آخر، معنى جديد.

تعالوا نبدأ الموضوع من حال واحد ضاقت عليه الدنيا كما ضاقت علينا

تعالوا كأننا نشهد مشهد كعب بن مالك وهو ماكث خمسين ليلة مهجور من قِبَل المسلمين ونرى كيف ضاقت عليه نفسه وضاقت عليه الأرض بما رَحُبَت ثم يأتي الفرج وتأتي المنحة وتأتي من قِبَل الله عز وجل الجائزة والرحمة والفرج، من هذه اللقطة نرى قصة ابن وضَّاح.

من هو ابن وضّاح؟

ذكر ابن بشكوان في كتاب (المستغيثين بالله) قصة هذا الرجل يقولون أنه في وقت من الأوقات أعسر وبقيَّ يومًا وليس عنده شيء يتقوَّت به أو شيء يُطعمه لأولاده قال "فخرجت إلى أهلي فقالت ليس عندنا شيء يُؤكل ولزومك هذا البيت لا فائدة فيه" ضاقت عليه الدنيا تمامًا ولا يدري ماذا يفعل، فزوجته قالت له لماذا تجلس في البيت اخرج فاطلب لنا شيئًا نتعيَّش به قال "فخرجت وقد ضاقت بي الدنيا فقلت من أقصد؟"...

هنا محل الشاهد:: **هنا كيف ندخل على رمضان هنا ندخل في الموضوع "فقلت من أقصد؟ فأجمع رأي على ألا أقصد إلا الله عزَّ وجلَّ" .. (صدق اللُجأ) ".. لا أحد من الناس فنهضت إلى المسجد الجامع، فكنت فيه إلى أن صليت العصر ثم خرجت من المسجد فلما صرت إلى باب القنطرة لقيت غلام رجل من ساكني القرية وكان ذلك الرجل لي صديقًا" وجد خادم لواحد من أصحابه فقال "فوجدت الغلام معه دابَّة موَّقرة بحِمل دقيق وفي يد الغلام جرة مملوءة بالزيت فقال لي إليك أقصد... (أي أنني أبحث عنك) فقال: أأنت غلام فلان؟ فقلت: نعم، فقال: هذا الرجل بعث إليك بهذا الدقيق والزيت قال: "ولم يكن من عادته أن يصنع بي ذلك، لكنه فضل الله ورحمته حرَّكته إليَّ في وقت الضرورة فحمدتُ الله عزَّ وجلَّ ورجعتُ من ذلك الموضع الذي لقيني الغلام فيه ودخلت على أهلي فسُرُّوا بما ورد من الله إلينا".**

أريد أن أخذ من قصة الرجل مسألة صدق اللُجأ ..أني لم أجد أحد ينفعني ولا أحد أقصده إلا الله عز وجل وهذه بداية الدخول على الملك وهذه بداية التصحيح لمفهوم العبادة مع الملك سبحانه وتعالى.

يا كل من يئست .. ويا كل من ضاقت بك الدنيا

ويا كل من تقول من داخلك: سيكون رمضان مثل كل رمضان ولن يفرق فأنا فعلت قبل ذلك أمور كثيرة كي أصحح رمضان، لكن تعود الأحوال إلى سالف العهد وللأسف الشديد أقع في نفس المشاكل مرة ثانية...

فأول شيء:: ألا تضع هذا المعنى أبدًا في قاموسك ..

إياك أن تعرف معنى كلمة "اليأس" أو معنى "لن ينفع" أو معنى "لا فائدة"

فابدأ الأمر بأن تجمع قلبك على قصد الرب سبحانه وتعالى .. فهو الله فقط وأنا ليس لي غيره .. فهذه بداية المفهوم الصحيح للعبادة الحقيقية مع الله عز وجل، وليس العبادة الروتينية التي نريد أن نصححها.

تعالوا نرى الثلاث مشاهد ومن خلالهم نرى النبي ﷺ كيف علمنا درس العبودية من خلال هذه المواقف والسلف علمونا

" ما هو معنى العبودية؟ "

لأننا عندنا خلل في هذا المعنى، وهذا الخلل يُسبب لنا بعد ذلك المشاكل التي تأتي بعد رمضان والمشاكل في الحياة بشكل العام والمشاكل التي تقطعنا أصلاً عن ربنا سبحانه وتعالى.

المشهد الأول: النوم عبادة

الحديث رواه أبو داود في سننه وصححه الشيخ الألباني من حديث أبي موسى الأشعري .. قال "أقبلت إلى النبي ﷺ ومعيَّ رجلان من الأشعرين" .. سيدنا أبا موسى من هذه القبيلة فأتى له رجلان من قبيلته يطلبوا منه رؤية النبي ﷺ فذهب بهم للنبي ﷺ فقال "فكان عن يميني أحدهما وعن يساري الآخر، فلما ذهبا إلى النبي ﷺ سألاه العمل" أي طلبوا الولاية أو أي وظيفة فقال، فكان النبي ﷺ ساكت ثم نظر إلى أبي موسى وقال "ما تقول يا أبا موسى؟ أو يا عبد الله بن قيس"، فقلت "والذي بعثك بالحق ما أطلعاني على ما في أنفسهما وما شعرت أنهما يطلبان العمل وكأني انظر إلى سواكه تحت شفتي (كان النبي يستاك وقتها) ثم قال "لن نستعمل على عملنا من أراد" فلا يوجد عندنا أحد نعطيه ما يستشرف إليه فمن يريد الإمارة لا نعطيها له وهكذا "إنا لا نستعمل على عملنا من أراد، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى" فأنت من سيذهب لليمن وخذ معك مُعاذ بن جبل ، فبالفعل ذهب أبو موسى وسيدنا مُعاذ إلى اليمن وكان سيدنا أبو موسى مَن سبق منهم ثم أتاه سيدنا مُعاذ قال: فلما قَدِمَ مُعاذ قال "انزل وألق له وسادة، وإذا رجل عنده موثق" سيدنا معاذ دخل على أبي موسى ووجد رجل عنده موثق .. وكان يهوديًا فأسلم ثم راجع دينه دين السوء (أي ارتد) فقال: من هذا؟ فقال: هذا يهودي أسلم ثم رجع دينه دين السوء، فقال: والله لا أجلس حتى يُقتل قضاء الله ورسوله، قال: اجلس، قال: والله لا أجلس حتى يُقتل قضاء الله ورسوله ثلاث مرات، ثم جلس ثم تذاكرا ..

وهنا محل الشاهد في القصة .. تذاكرا (أبو موسى الأشعري ومعاذ ابن جبل) قيام الليل، فسيدنا أبو موسى قال "أقوم لا أفتر" .. فأنا وردي أن آخذ ما فتح الله عليَّ به .. فمن الممكن أن أمكث من العشاء للفجر قائم .. فقال معاذ "أما أنا فأنام وأقوم أو أقوم وأنام" (ممكن أن يبدأ بالقيام ثم أنام، أو أنام ثم آخذ وردي من الثلث الأخير من الليل) .. "وأرجو في نومتي ما أرجو في قومتي"

سيدنا معاذ يقول لنا: أن النوم عبادة، ويقول: أنه كما يحتسب في القيام يحتسب في النوم.

لماذا نحن عندنا مشكلة في هذا المعنى؟

المشهد الثاني: قصة سلمان مع ابي الدرداء

القصة الثانية وهي قصة مشهورة قصة سلمان مع أبي الدرداء والحديث في البخاري من حديث أبي جحيفة أن الرسول ﷺ لما آخى بين سلمان وبين أبي الدرداء قال :فجاءه سلمان يزوره فإذا أم الدرداء مُتبذِّلة .. سيدنا أبو الدرداء رجل عابد، وكان ورده يصل كما ورد في كُتب السيَّر إلى 100 ألف استغفار؛ أي أنه رجل ذكير رجل عابد لا يُشق له غبار .. فهو مشغول بالعبادة .. فأم الدرداء متبذلة غير متهيأة لزوجها؛ لأنها تعلم أنه لا أرب له في النساء، فقال لها: ما شأنك؟، قالت: إن أخاك أبا الدرداء يقوم الليل ويصوم النهار وليس له في شيء من الدنيا حاجة، فجاء أبو الدرداء فرحب به وقرَّب إليه طعاما، فقال له سلمان: اطعم، فقال: إني صائم، قال: أقسمت عليك لتُفطِرَّن...بالله عليك لو أحد فعل معك هكذا ستقول هذه هي آخر مره له يدخل بيتي، هذا الرجل رجل سوء يفتح عليَّ أبواب المعاصي وأنا أريد أن أعبد الله سبحانه وتعالى .. قال: أقسمت عليك (لم يأمره فقط بالإفطار ولكنه أقسم عليه) أقسمت عليك لتُفطِرن، ما أنا بآكل حتى تأكل فأكل ثم بات عنده فلما كان من الليل أراد أبا الدرداء أن يقوم (تشعر وكأنه غير سعيد بمكوث سيدنا سلمان فهذا وقت القيام وحان موعد ورده) فلما كان وقت الليل ووقت القيام، فقال له سلمان: يا أبا الدرداء إن لجسدك عليك حقًا ولربِّك عليك حقًا ولضيفك عليك حقًا ولأهلك عليك حقًا، صم وافطر وصلِّ وأتِّ أهلك وأعطي كل ذي حقٍ حقه... قال له: نم فجسدك له حق ونومك الآن عبادة ثم قُم.

وفي بعض الألفاظ، أنه قال له: نم فلما كان آخر الليل أيقظه فلما كان وجه الصباح وقد قام من آخر الليل ذهب إلى النبي ﷺ (فمن سيذهب ليشتكي ؟ سلمان أم أبا الدرداء؟) فدنا أبو الدرداء من النبي ﷺ وقال والله لأخبرن رسول الله ﷺ بالذي كان من أمر سلمان، فقال له النبي ﷺ: "يا أبا الدرداء، إن لجسدك عليك حقًا" .. مثلما قال سلمان، وفي لفظ "صدق سلمان".

هذا الدرس وهذا المشهد يقول:

أن العبادة ليست فقط قيام وصيام وزُهد وهجر للنساء وهجر للمأكل والمشرب، فالعبادة قد تكون في المأكل وفي المشرب وفي إتيان النساء وفي وفي....فالنبيﷺ قال له: صدق.

المشهد الثالث: قصة الثلاثة نفر

القصة المشهورة وهي المشهد الثالث كي نؤكد على هذا المعنى وهي قصة الثلاثة نفر : جاء ثلاث رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ (وكأنهم نحن بالله عليكم عندما تذهب لتسأل عن أحد من المشايخ الكبار وتسأل كم يصلي الشيخ من الليل ؟فيقولون يصلي نصف ساعة أو ساعة فتتعجب هذا حال الشيخ!! وتسأل كم يصوم؟ يقولون يمكن أن يفطر أسبوعين أو ثلاثة ويمكن أن يصوم أسبوع وهكذا... فتسأل هو لا يصوم صيام داوود؟ يصوم يوم ويفطر يوم فماذا عن ما يقوله لنا في الدروس...والنبي ﷺ يتزوج تسعة أزواج، لماذا هذه السعة في الدنيا ؟) ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا : أين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[صحيح البخاري (5063)]

هذه الثلاثة مشاهد تقول::

أننا نحتاج إلى فهم جديد للعبادة .. نحتاج أن نحيي روح العبادة؛

ولذلك يوجد ناس تلتزم وعندما تفعل هذه الأعمال الروتينية ثم تعتادها ولا يشعر بأي معنى من معاني الإيمان، فتجده بعد فترة ينتكس ويبتعد .. فقد كان في وقت من الأوقات محافظًا على الجماعة .. ثم بعد ذلك بدأ يفعلها كعادة ويوجد واعظ من قلبه واعظ الفرضية أنه يجب أن يفعل ذلك .. فبعد فترة ينفك منه.

أحد الناس يقول: أزمة المسلمين في هذا الزمان .. وأنا أريدكم أن تضعوا تحت هذا الكلام عشرين خط، يقول: أن ما حدث تحت الحضارة الغربية ونشر العلمانية وفصل الدين عن الحياة وليس عن الدولة .. بل عن الحياة بشكل عام .. فأصبح ما يُترك له الأمر تمامًا، أن تتكلم في الطقوس في الذكر والقرآن والدعاء والصيام والقيام .. ورضى المسلمون بهذا المعنى من الدين على أن الله قال {...ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً...} [البقرة / 208] الإسلام شريعة وعقيدة وأخلاق وسلوكيات، وكل هذا دين وكل هذا عبادة .

ولذلك هذا هو مفهومنا في رمضان، الخمس أو الست أعمال المعروفين وليس عندنا غيرهم .. فبالتدريج أصبح الدين طقوس روحية .. مجموعة من الأشياء التي يفعلها وأصبح مرضيًا عنها حتى عند الغرب (مثل الجماعة الذين يُمارسون اليوجا، فإذا كان هذا ما يُريح أعصابك فالكل يُريح أعصابه بطريقته)

ولكن الدين به معاني أعمق من هذا، به معاملات وأخلاقيات وسلوكيات وشريعة ويوجد أمور كثيرة ..

فقُلص الأمر عند بعض التعبديات وبعد فترة نُزعت منها روحها، فلم تعد طقوس روحية وإنما طقوس روتينية تُؤدى بشكل مبرمج عليه الناس .. فبعد فترة بدأ الناس يملوا من هذه المعاني، فتركوها بالكلية فمُسخ الدين بهذه اللعبة.

افهموا هذا المعنى جيدًا حتى لا تجدوا أنفسكم يُلعب بكم وأنتم لا تفهمون.

سأقول لكم أمثلة رمضانية متكررة ...أنت في أي خاتمة الآن؟ الشيخ فلان صلى الآن وعمل كم خاتمة في الصلاة؟

هل أنت مِن مَن يحسبها بالكم؟

كم شنطة وزعتيها؟

فلانة عملت 100 شنطة وأخرى 150 وآخرين 1000 شنطة

كيف تفكري وأنت كيف تفكر؟ حسنًا ما رأيكم في هذا الكلام ؟

فهذا الكلام يعكس الأمور عندنا تمامًا، ويقلبها تمامًا عكس ما نتصورها.

ابن القيم يقول في (مفتاح دار السعادة):

"لو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها فإذا قرأه بتفكر حتى مر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مئة مرة ولو ليلة كاملة."

فأنا أقول عن نفسي لو قرأت آية وأخذت أكررها ساعتين وأحاول أن أحضر قلبي فيها، وبعد ذلك أسمع أن الشيخ فلان في الخاتمة الثالثة وأنا لم أكمل نصف خاتمة في أول رمضان مثلاً فكيف يكون حالي حتى ولو كانت الليلة مباركة جدًا وأخذت مني آية.

هل رأيتم أحدًا صلى بالناس تهجد وصلى بآية؟!

أي ظل يصلي بها نصف ساعة أو صلى بها ساعة فكل الناس تركز في الكم، فهم يريدون في النهاية شيء محسوس كي نخدع أنفسنا في نهاية رمضان ونقول الحمد لله في رمضان هذا العام ختمنا كم خاتمة وكنت أصلي قيام وتهجد لأن

هذه الأشياء القلبية لا نستطيع أن نستشعرها ولا أن نكيفها ونحن في النهاية نريد أن نُرضَّي أنفسنا وليس رب العالمين...وهذا هو المشكل ..

فهل أنت ترضي نفسك أم ترضي رب العالمين؟

دائمًا يأتي لي أخ ويقول أريد أن أتزوج والأخت تقول أريد أن أتزوج فهل أنتِ تريدين أن تتزوجي كي تستمعي أم كي ترضيه؟

فتقول كي أرضيه فأقول لها: هو راضي، فتقول ولكني أريد أن أتزوج .. فبهذا تعلم أنه ليس لترضيه.

نفس السؤال أنت تقرأ قرآن كي تقول الحمد لله قد قرأت، صُمت رمضان وقُمته أم كي تُرضيه؟

فتقول كي أرضيه، أقول لك هو يرضيه أن تقوم بآية واحدة من الليل كما علمنا النبي ﷺ

يقول ابن القيم: أن المرء لو ظل يُكرر آية مئة مرة ولو ليلة كاملة، فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة خاتمة بغير تدبر وتفهم وهكذا كانت عادة السلف يُردد أحدهم الآية إلى الصباح وثبت ذلك عن النبي ﷺ.

يقول "ولا شيء أعظم في صلاح القلوب من قراءة القرآن بالتفكر".

حسنًا ما رأيكم في حديث النبي ﷺ الذي رواه النسائي وغيره لما قال "سبق درهم مائة ألف درهم .قالوا : وكيف؟، قال: كان لرجل درهمان، تصدق بأحدهما، وانطلق رجل إلى عرض ماله فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها" [رواه النسائي وحسنه الألباني، صحيح النسائي (2526)]

فبالحسابات من جَمَّع ألف شنطة ومن جَمَّعت شنطة واحدة أو اثنين فبالتأكيد التي جمعت ألف شنطة أفضل وبالتأكيد الذي تصدق بألف درهم أفضل، ولكن النبي ﷺ يقول سبق درهم مائة ألف درهم رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق ورجل له مال كثير فأخذ من عَرَض ماله مائة ألف فتصدق بهم ...

ليس كل عمل صالح يرضيه.

ما الذي أريد أن أصل له من كل هذا الكلام؟

كيف يكون رمضان كله عبادة؟

أن تتعبدوا الله باسمه الواسع .. (هذا ما أريد أن أصل له) أي أن الله وسَّع علينا في أمور كثيرة في عبادته؛ لأن كل واحد يناسبه شيء ..

لأن السؤال المتكرر يُقال لي: يا شيخ أنا أنزل عمل والعمل يأخذ على الأقل (ثلث اليوم) 8 ساعات أو 6 ساعات (ربع اليوم) .. وأريد أن يكون رمضان كله عبادة فالعمل يُعطلني... وأخرى تقول يا شيخ أنا الآن حامل، ولا أقدر على الصيام والطبيبة قالت لي لا تصومي .. فبدون صيام أنا لا أحس بقلبي وأشعر أن ضاع مني رمضان .. ومن تقول يا شيخ أنا مُرضع ... ومن تقول يا شيخ الأولاد يُرهقونني في تربيتهم ولا أعرف أن أذهب لمسجد ولا أحضر درس ولا أجد قلبي أنا قلبي ضاع ...

فنسأل ونقول: ألم يخلقنا الله لعبادته؟

فلماذا جعل الله لنا هذه الأشياء طالما ستعطلنا عن العبادة؟

فالله خلقنا لعبادته، إذًا كان ينبغي أن يكون القانون مجموعة شهوات لتكون عوائق؛ كي يختبر الله الصادق من الكاذب لكن لا يكون هذه الأشياء في أصل الحياة مثل: العمل الذي يجب أن يأخذ وقت، والزوجة التي ستأخذ وقت، والأولاد الذين سيأخذون وقت .. فماذا أفعل؟

إذًا كيف تقول لي بعد ذلك {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام:162]

كيف تكون حياتي كلها لله، وأنا يوجد وقت يجب أن يضيع مني وسيكون بعيد عن ربِّ العالمين؟

وأنا لا أريد أن أخدع نفسي فأنا عندما أنزل العمل أُفتن، وكان حالي قبل الزواج أفضل مما كان عليه بعد الزواج...وهي تقول من وقت أن رُزقت بالأولاد وقد ضاع التزامي، فأنا كنت أفضل من ذلك مليون مرة فلا تخدعني .. وتقول لي أصلحي نيتك يا أختاه وأصلح نيتك يا أخي، فأنا لا أجد هذه المعاني.

وأنا أقول الحل في أمرين::

الأول: الإحتساب وتكوين الحال

أن تفهم مفهوم العبودية

الذي أتكلم عليه هذا، وعندما يكون عندك هدف أنت تعيش له تكوِّنه قبل الفتنة .. فالله يعطينا كلنا وقت وننبه ونقول والناس لا تنتبه...نقول قبل أن تتزوج انتبه وقبل أن تعمل انتبه وقبل أن تدخلي على هذه الفترات في حياتك انتبهي، يجب أن تكوِّني هدف تعيشي له يكون مسيطر عليكِ كي يكون قلبك مشدود له ... **ما هو الهدف؟**

يجب أن تكوِّني حال مع ربنا، ويجب أن يكون هناك وصال مع الله ويجب أن يكون هناك حب في القلب مع الله حتى تجدي نفسك بعد ذلك.

فهي تقول هذه الكلمة (وهي مفتاح الحل) وأنا منذ فترة أحاول أجربها قبل أن أقولها حتى أكون آمر لنفسي قبل أن آمركم {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ... } [البقرة / 44]

فأنا أرى أن إذا الواحد دخل بيته كما قال حنظلة "نكون عند رسول الله ﷺ فيحدثنا عن الجنة والنار فكأنا رأي عين حتى إذا ما عافسنا الزوجات وعالجنا الضيعات" أي عندما أعود وأختلط بزوجتي وأنزل العمل ننسى كثيرًا، فأرى أن قلبي في الدرس ليس كما هو في البيت .. وأكيد قلبي وأنا أمسك كتاب غير وأنا أكلم زوجتي أو وأنا ألاعب ابني .. فالحل كلمة واحدة وأنت تعمل هذا العمل قل كلمة واحدة: هل أنا عابد؟

فقط وجربها .. فأنت وأنت تدخل البيت وأحضرت أشياء للبيت من فاكهة ومستلزمات فقل وأنت تشتري وأنت تعطي الرجل المال تقول هل أنا بذلك عابد، كأنك تُمحِّص إخلاصك.

وأنت جالس تتحدث مع زوجتك .. والنبي ﷺ عندنا شاهد أنه جلس أمام السيدة عائشة تحكي له 11 قصة حديث أم زرع، وواحدة تَسُب زوجها والأخرى تُنثي على زوجها و..والنبي ﷺ يستمع إلى 11 قصة ثم يتلطف معها، ويقول لها كلام تحتاجه أي مرأة في الحياة يقول لها: كنت لكِ كأبي زرع لأم زرع الذي هو أحسن واحد في ال11 قصة غير أني لا أطلقكِ .. فالمرأة تحب أن تسمع هذا الكلام من زوجها فهي تكون دائمًا في شك وقلق فالنبي أراح لها قلبها ..

فتخيَّل نفسك تجلس وتسمع قصة طويلة من هذه القصص أو لو أنني أحكي لكم قصة حديث أم زرع وأقرأ لكم القصة وكلامها الصعب الذي يحتاج لفهم لن تتحملوا كل هذا الوقت من شدة وصعوبة الكلام ...لماذا يسمع النبي كل هذا الكلام؟

لأن حُسن المعاشرة عبادة لله تبارك وتعالى ..

الحل: وأنت جالس تُمرر عليك هذه الكلمة هل أنا عابد؟ فأنا مثلاً سأُرفه عن نفسي وعن أهلي أثناء خروجي أسأل نفسي هل أنا عابد أم أنني أسير في حظ نفسي؟

انتبه أنا لا أقول لك أن نضحك على أنفسنا، ولكني أقول كوِّن حال مع الله أولاً واجعل هذا الحال يُسيطر على حياتك واسأل نفسك .. ولذلك لم أقل لك قل: هي عبادة، ولكن اسأل نفسك هل أنا بذلك عابد؟ كي يكون السؤال يحتمل الصدق والكذب حتى يُريك السؤال حالك أمام نفسك .. هل أنت بحق عابد أم تضحك على نفسك؟

هذا الذي نحتاجه ابتداء فهذا أول شيء وهو موضوع الاحتساب وأنا أعطيكم طرق عملية ولن أقول لكم عليكم بالاحتساب .. والاحتساب هو أن تجد للعمل الذي تعمله نية وهذا صحيح ولكن كيف بطرق عملية حياتية ؟ فاسأل نفسك هذا السؤال وإذا وجد نفسك تقول عبودية ؟ أين العبودية في ذلك؟

فأنا أقول لواحد ماذا تفعل؟ فقال أذهب للمكان الفلاني ألعب مع بعض الشباب فسألته ضاحكًا (كي يترسخ المعنى لديه) هل أنت بذلك عابد؟ فضحك والولد غير ملتزم فقال لي: ألعب كرة، فهل أكون بذلك عابد؟ فقلت له: نعم فقال لي: يا شيخ ليس لهذه الدرجة فالعبادة عبادة والحال حال .. فقلت له: أنت لا تفهم فهناك قانون عندنا في الفقه يقول "**الوسائل تأخذ حكم المقاصد فكل ما أدى إلى شيء أخذ حكمه**" فلو ذهبت تلعب مباراة كرة ورجعت بعد ذلك فرطت في الصلاة و كذا وكذا بسبب تعبك فهذه ليست عبادة ولكن بالعكس حرام عليك، ولكن أخذت قسط من الترفُّيض وكان جزء من الترفيه الذي عاد عليك بعد ذلك أنك بدأت تكون أنشط في الطاعة وأنشط في الواجبات عليك وأنشط في عملك فهذا يأخذ حكم الشيء الذي أدى إلى شيء حسن فهو حسن.

هل هذا معناه أن ممكن أي شيء نفعله في الدنيا يُقلب إلى عبادة ؟

نعم، هذه الوصية الذهبية وهذا هو المحوَّل العجيب الذي يُسمى نية .. افهموا هذا الكلام بالله عليكم حتى يكون رمضان كله عبادة وحياتك كلها عبادة ويكون فعلا أنت تُحقق هذا المعنى "حياتي كلها لله "

{قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام / 162]

الأمر الثاني: دوام الذكر

لأن عادة أمور الدنيا دائمًا ما يخالطها الغفلة، فالحل: دوام الذكر .. حتى تستمر معك العبودية يكون عن طريق شيئين: أول شيء هي عبودية النية عبودية تكوين الحال والأمر الثاني الذكر، لماذا؟ حتى لا تكون قد خدعت نفسك .. وأنا جالس أو أسير وأو أفعل أي شيء لا يفتر لساني من ذكر الرحمن حتى أكون موصول بالله ..

فأنا أطلب منك ومنكِ شيئين قبل أن تفعل أي شيء فقل هل أنا بذلك عابد، فلو لم تجد جواب اسأل، ما معنى العبودية في ذلك يا شيخنا؟ فأنا لا أجد ..

حسنًا سأقول لك ألوان من التعبديات، ونرى كيف نستخدم هذا المفهوم في الواقع.

الأمر الثاني: أن تجعل الذكر .. الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ وتسبيح وتهليل وتحميد وتكبير دائما عملك حتى لا يكون القلب غافل فتكون دائمًا مُتذكر الله سبحانه وتعالى.

هذان الأمران بالتجربة هما أفضل شيئان يجعلا القلب مُتعلق بالله تبارك وتعالى.

تعالوا نتزل هذا الكلام على واقع السلف وعلى واقعنا ونرى أول معنى لو جلستم تقرأون في تراجم السلف وتراجم الصحابة تجدوا السلف والصحابة ألوان من الطاعة ...

فمثلاً أبو بكر ثاني اثنين ينفق كل ماله ثم يُدعى بعد ذلك من أبواب الجنة الثمانية .. لا يترك باب، فهذا نمط معين ولن يستطيع كل الناس أن يكونوا مثل أبو بكر .. فعمر لم يستطع أن يكون مثله وعثمان لم يكن أبو بكر وعمر كان يقول "لوددت أني في الجنة حيث أرى أبا بكر" .. فهو وضعه أمامه وعمل على ذلك وأصبحت أعظم نعمة على سيدنا عمر بعد النبي ﷺ هي وجود سيدنا أبو بكر في حياته فهذا ما يجعل الواحد تعلو همته، إذًا سيدنا أبو بكر نمط.

وسيدنا عُمر نمط ثاني تجده يسرد الصيام وهو الفاروق الذي يفر منه الشيطان ويوافق الوحي أكثر من مرة فهو المُلهَم باب ثاني وحال ثاني و يضعه الله في مكان آخر غير مكان أبو بكر فأبو بكر كان يصلح أن يكون أمير على دولة الإسلام سنتين ونصف أما عُمر نحتاج أكثر من ذلك نحتاج عشر سنين مع سيدنا عُمر فكل واحد له وظيفة.

ﷺ سيدنا عثمان الحيي يُجهز جيش العُسرة ويوقف بئر رومة حتى تكون للمسلمين من حر ماله ويختم القرآن في ركعة لكن يوجد أبواب أخرى سيدنا عثمان ليس فيها ولذلك يؤخر سيدنا عثمان ولا يكون هو رقم واحد في الإمارة ويؤخر يكون رقم ثلاثة، وكل واحد منهم له وظيفة غير الآخر فوظيفة سيدنا عثمان غير وظيفة سيدنا أبو بكر غير وظيفة سيدنا عُمر.

ﷺ سيدنا علي تراه الفارس المغوار فهو يُبارز في بدر ويفتح حصن خيّبر ويقتل مُرحَبًا ذلك الرجل المشرك الذي كان لا يُشق له غبار في القتال ويذبح عمرو بن مُد يوم الخندق فكان سيدنا علي مثال في الشجاعة وكان زاد العلم فهو له وظيفة ولكن أين نفقتك يا سيدنا على التي تكون مثل نفقة سيدنا عُمر ولماذا عندما سمعت هذا الخبر لم تذهب متصدق بكل ما معك يا سيدنا علي ؟ لأن له باب غير باب سيدنا عُمر وأبو بكر.

ﷺ خالد رضى الله عنه يخوض مائة غزوة ويقتل يوم اليرموك خمسة ألاف بيده ويكسر تسعة أسياف ويموت على الفراش فأين ذكرك يا سيدنا خالد وأين نفقتك يا سيدنا خالد وأين الصيام يا سيدنا خالد؟ فهو له بابه في التعبُد.

ﷺ طلحة بن عبيد الله يضرب في أُحد حتى تُشل يده .. ويُقتل حنظلة جُنُبًا فتُغسله الملائكة .. فكل واحد منهم تجد عندما يُذكر لنا شأنهم تُذكر لنا اللقطة التي يجب أن نقف عندها، فهو بالتأكيد كان يفعل كل الأشياء الأساسية ولكن اللقطة أن فلان كذا...فلان في الجهاد وفلان في الصيام وفلان في الصدقة وفلان في كذا، كل واحد منهم يقول معنى في العبودية.

ﷺ طُعن عبد الله بن عمرو والد سيدنا جابر بن عبد الله أكثر من ثمانين طعنة فكلمه الله بلا تُرجُمان، وجمع أُبيّ بن كعب القرآن وجوَّدهُ فذكره الله في الملأ الأعلى وأمر النبي ﷺ أن يقرأ عليه سورة البينة .. أين مكانك؟ أنت من سيجمع لنا القرآن.

ﷺ وتصدَّق عبد الرحمن بن عوف بألف جمل بحمولتها على الفقراء .. وتصدق أبو طلحة بمزرعته في سبيل الله وكذا أبو الدحداح ..

ﷺ حفظ أبو هريرة غالب السنة، وكان يُقسِّم ليله ثُلُث للصلاة وثُلُث للمذاكرة وثُلُث للنوم وكان يُسبِّح اثني عشرة ألف تسبيحة .. وخالد بن معدان كان يُسبِّح مائة ألف تسبيحة ..

ﷺ كان بعضهم يختم القرآن كل يوم .. ورُويَّ عن الشافعي بإسنادٍ صحيح أنه ختم القرآن ستين ختمة في رمضان .. ولكن الإمام مالك لم يفعل ذلك والإمام أحمد عندما سمع أن شيخه الشافعي فعل ذلك وكان إمام من الأئمة ولا يوجد شيء يمر عليه فهو يقول "ما سمعت بحديث إلا وعملت به ولو مرة" فهل لم يغار من الإمام الشافعي؟ لماذا لم يفعلها؟ولماذا لم تُروى عنه؟ لأنه ليس بابه .. فكل هذا الكلام نرويه ونقوله كي ترى أين بابك وتفعله، افهموا هذا المعنى...

فليس كل الناس مطلوب منهم أن يكونوا كلهم على باب واحد

إذا وجدت الناس ازدحموا على الأبواب، فاختر لنفسك باب لا ترى فيه أحدًا، ادخل على الله من باب الذل والانكسار

وقل له فقير يا رب عبيدك سواي كثير وليس لي إلا أنت فأنا لست فلان في هذه الطاعة ولا في هذه الطاعة...ولكنني أدخل لك بانكساري فهذا أقل شيء قل له أنا فقير لا أستطيع...ألوان من الطاعات

ﷺ حجّ مسروق فما نام إلا ساجدًا فهذه لقطة لنا،فأين الناس الذين فعلوا مثله؟ لا فهو فقط فلان من فعل ذلك حج فما نام إلا ساجدًا فهو لم يكن ينام متكئًا فيظل يصلي حتى تغلبه عيناه وينام وهو ساجد...

ﷺ وصام الأسود بن يزيد حتى اخضر جسمه، وبكى يزيد بن هارون حتى ذهبت عيناه، ومشى أبو موسى الأشعري حتى تشققت قدماه، وبقيَّ عطاء بن رباح ينام في المسجد ثلاثين سنة في طلب العلم.

ألوان من الطاعات .. فمن أنت من هؤلاء؟

هذا هو المطلوب أن يكون لك شيء.

تعال نستحدث عبادات جديدة في حياتنا:

أول شيء قال النبي ﷺ لما سُئل: أخبرنا بعمل نستقيم عليه ونعمله فقال النبي ﷺ "عليك بالهجرة فإنه لا مثل لها، (عليك بالجهاد فإنه لا مثل له)، عليك بالصوم فإنه لا مثل له، عليك بالسجود فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة" [صحيح الجامع (4045)، وما بين قوسين ضعيف عند الألباني ضعيف الجامع (3744)]

والمهاجر في حقنا، من هو؟

من هجر الذنوب والمعاصي، ما رأيك؟ فهذه عبادة.

ألا تريد أن تُحشر مع المهاجرين؟

تُحشر مع سيدنا أبو بكر وعُمر وعُثمان ألا تريد أن تُحشر مع المهاجرين؟ فالنبي ﷺ قال "المهاجر من هجر الذنوب والمعاصي" فما رأيك لو تتوب إلى الله بهذه النية فأنا أتمنى أن أكون مع هؤلاء الناس وأنا أحب القوم ولا أُبلِّغ منازلهم، فما رأيك نستحدث هذه العبادة فعندما تترك أي ذنب تقول يا رب سأتركه ابتغاء وجهك يا رب فيا رب مهاجرين وأُبلِّغ منازل المهاجرين.

ثم قال لما سُئل مرة أخرى يا رسول الله أخبرنا بعمل نستقيم عليه ونعمله فقال: عليك بالجهاد ، والجهاد أنواع ليس فقط جهاد المشرك الخارجي وإنما الجهاد مراتب والعلماء لما ذكروا الجهاد قالوا هناك الجهاد بالنفس وهناك جهاد النفس وهناك جهاد بالمال وهناك جهاد بالعلم {...وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً} [الفرقان / 52] فأنت عندما تمسك مصحف وتأخذ هذه النية في حفظ القرآن أن تكون ممن يُقال فيهم {...وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً} [الفرقان / 52] على الأقل بحفظ القرآن في قلبك وأنا لا أريد أن تكون النية هي النية الروتينية المعتادة فأريدك أن تعيش لهدف تكون عابد لله تبارك وتعالى بشكل مختلف، أريدِك أن تُفكرين بهذا الأسلوب.

فسُئل ثالثًا رسول الله ﷺ أخبِرنا بعمل نستقيم عليه ونعمله فقال: عليك بالصوم، فإنه لا مثل له ، أريد صيام مختلف صيام لا مثل له ويكون الصيام هذا العام لا مثل له ، صيام بتركيز، صيام لا يكون أكل وشرب وانتهاء عن النساء فقط ولا حتى المعاني التي تسمعونها كل رمضان، صيام العامة وصيام الخاصة وصيام خاصة الخاصة .. صيام العامة الذين يصومون عن الأكل والشرب والجماع، وصيام الخاصة الذين يصوم قلبهم عما سوى الله عز وجل، أما صيام خاصة الخاصة فهؤلاء قلوبهم معلقة بالله تبارك وتعالى فليس فيها أحد سواه فهؤلاء في درجة عالية لا يُوصل إليها إلا بعد مشقة بالغة.

فلا نريد كلام الإنشاء فقط ونحن لا نفهمه، فأين صيام القلب والصيام عن الوساوس والصيام عن حب النفس وكذا ..

فأنا أريد صيام مُختلف، أريدك أن تفهم في الصيام معنى مختلف غير المعاني الدارجة على ذهنك، صيام يُبلِّغك التقوى {...كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [البقرة / 183] صيام يجعلك أتقى لله ما ماعنى أتقي لله؟ أي أحب لله وأذل لله وأطوَّع لله وأكثر بعدًا عن كل ما يُباعدك عن الله تبارك وتعالى، صيام تحقق فيه معنى الإحسان صيام تشعر أنه ثقيل في الميزان لأنه يحقق عبودية الصبر {...وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر / 3] عبودية حقيقية تحس بها أنت، وتتعب فيها أنت، عبودية مختلفة لها مذاق مختلف، فهذه هي لذة العبادة، لذة أن تشقى لله وأريدك أن تحس بهذا وتحس بهذا الإحساس الداخلي أنك منقطع لله وأنك بذلك ذاهب إلى ربك بضعفك(تقول في نفسك أنا فقير وضعيف) فعندما يشتد عليّ الجوع والعطش لا أستطيع فعل أي شيء فأظهر له ضعفي فعبادة تُظهر لله فيها معاني أنت لا تعيشها ولا تشعر بها .

فقيل له ﷺأخبرنا بعمل نستقيم عليه ونعمله فقال" عليك بالسجود، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة، و حط عنك بها خطيئة"

عبادات لا مثل لها...سجدة ذل وانكسار وسجدة قلب قبل أن تكون سجدة يدين ورجلين ورأس، سجدة ذل لله تحس بهذا المعنى وأنت ساجد أنك أقرب ما تكون من ربك وتستشعر فيها اسمه القريب، سجدة تُشعرك بمحبة النبي ﷺالرفيق وهو يقول أعنِّي على نفسك بكثرة السجود فبالله عليك حسِّها وكأن النبي يقول لك أن نفسك تقطع بيني وبينك وأريدك أن تكون في حضني حسَّها بهذا الشكل ،حسها أن النبي فاتح لك يديه ويقول لك تعال في حضني وحسى بهذا المعنى وأنتِ مُقبلة على النبي ﷺعلى الحوض كي تشربي من يده شربة هنيئة لا تظمأين بعدها أبدا والنبي فاتح لكِ يديه والمشكلة نفسك...تقف بينك وبين النبي فيقول لكِ أعينيني على نفسك...هل ساعدتيني كي تبعد نفسك لتُقلبي عليَّ فأجدك معي على الصراط المستقيم فأحسوها هكذا ولا داعي للإحساس الروتيني والميكانيكي في التعامل مع هذه التعبديات ..

فاستحدث معنى جديد في العبادة أو استحدث عبادة جديدة في حياتك.

من الأشياء التي يجب أن تركز عليها:

أولاً: عبادات لا مثل لها ..

ثانيًا: أزواج من الطاعات ..

فلا تكون على باب واحد فاجمع ما بين شيء وشيء آخر...

قال النبي ﷺ: من أنفق زوجين من شيء من الأشياء ، في سبيل الله دعي من أبواب الجنة : يا عبد الله هذا خير لك ، وللجنة أبواب، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان . قال أبو بكر : هل على من يدعى من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله ؟ قال : نعم ! وإني أرجو أن تكون منهم . يعني : أبا بكر" [متفق عليه]

وسيدنا أبو بكر يُدعى من هذا كله ...

والشاهد: ألا تقف على باب واحد، أمِّن على عبادتك بعبادة

(فنحن نقول إذا لم أُوفق في واحدة فأُوفق في الأخرى) فاجعل شيء يكون معك بديل أو احتياطي فيجب أن يكون عندك العبادة الاحتياطية، وفكِّر أيُّ شيء عندك من العبادات تدخل على الله منها؟ وأمِّن عليها بعبادة أخرى ..أنت تستطيع أن تُصلي كثيرًا وأنت تستطيع قضاء حوائج للمسلمين وأنت تقدر أن تعمل بصمة في مجال عملك تكون خير دعوة للإسلام وأنت وأنت وأنت فأمَّن على هذه العبادة بعبادة أخرى .. أزواج من الطاعات.

المعنى الثالث: عبادة الاعتراف

هل يوجد عبادة اسمها عبادة الاعتراف؟ نعم، أليس الاعتراف يهدم الاقتراف .. أي أن الاعتراف هو أصل أصيل في التوبة...

والنبي ﷺ قال لأمنا عائشة في حادثة الإفك: "إن العبد إذا اعترف ثم تاب ، تاب الله عليه" [صحيح البخاري (4141)]

فأنا أريد هذه العبادة من دعوة ذي النون وأنك تلهج بها ، سيدنا عُمر بن عبد العزيز لما أراد أن يكتب مرسوم ملكي إلى الأمصار قال لهم الهجوا بهذه الدعوات "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين"

فانكسر لربِّك وأظهر له أنك بجد تحس بجرمك وذنبك لماذا لا تظهر له ذلك {...إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ...} [التوبة:110]

ربي أعترف أنني ظالم يا رب أن مُعترف بتقصيري وأعرف تفريطي {...يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَاء مَا يَزِرُونَ} [الأنعام / 31] فأنا أحس كم أنا بعيد عنك وكم أجرمت في حقك يا رب أنا ظالم لنفسي مُعترف ومُقِّر بذلك، يا رب أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت... يا رب يا رب يا رب تُب عليَّ توبة ترضى بها عني، يا رب إن أردت بقوم فتنة فاقبضني إليك غير مفتون، يا رب ليس لي أحد سواك أدعوه ليس لي أحد سواك أرجوه يا رب ارحم من لا راحم له سواك ولا يغفر له الذنوب إلا أنت مسكينك ببابك فقيرك ببابك محبك ببابك راجي فضلك ببابك، يا رب أذل خلقك لك، يا رب أنت تدري حالي وحالي يُغني عن مقالي، يا رب.

أظهِّر له ضعفك .. أظهِّر له إحساسك بجرمك .. قل له: أنا أعرف وأستحق العقاب الأشد، لكن ظني فيك لا يخيب، لكن ليس لي باب إلا بابك، لكن أنت القائل أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وظني فيك أن تغفر، يا رب إني سمعتك تقول لو كانت ذنوب الواحد منا ملئ السموات وملئ الأرض لو أتيتك بقراب الأرض خطايا وذنوب ثم لقيتك لا أشرك بك شيئا للقيتك بقرابها مغفرة وأنا يا رب أشهد أنه لا محبوب ولا معبود ولا أخضع ولا أذل إلا لك فلا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، يا رب إني أعلم أني لو لقيتك بملئ الأرض خطايا ثم استغفرتك غفرت لي ولا تُبالي فيا رب اغفر لي وارحمني، اللهم إني أستغفرك وأطلب منك العفو وأطلب منك الصفح يا رب أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه.

عبادة الإعتراف: تُعيد لك قلبك .. تُوقظ قلبك .. تُحيي قلبك

ومن جملة ذلك أيضا

عبادة التعرُّف

فأنا لا أريد أن أصلي فقط لأصلي أنا لا أريد أن أصوم لأصوم أو لأحقق الفرض امتثالاً وفقط، ولكن أريد أن أرفع يدي وأناجي ربي فأستشعر قربه {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ...} [البقرة / 186] أنا أريد أن أصلي فأستشعر أني الآن تلقاء وجه ربي وأعاين من معاني أسماءه ومن معاني صفاته .. أشعر بجوده وأشعر بإحسانه، فهل أنا يا رب أستحق أن أقف أمامك بعد أن فعلت كذا من الذنوب ؟ يا لكرمك .. يا لحلمك .. يا لجودك .. يا لإحسانك...

قال النبي ﷺ: "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة" [صحيح مسلم (26)]

فهل تعرف أن تتعرف على الله؟

تعرف أن تكون كل لقطة في حياتك تترجمها باسم من أسماء الله فنحن نريد أن نتعبد الله اليوم باسمه الواسع واجبنا العملي ونفهم معنى الواسع سبحانه وتعالى ونوَّسع على أنفسنا ونوَّسع على أهلينا نوَّسع معاني العبودية لله تبارك وتعالى ..

اعبدوه وافهموا من تعبدوا، إنما تعبد من لا تعرف فكيف يستقيم له حال وكيف يستقيم له مع الله عز وجل عبودية؟

عبادة تجديد العهد

العبودية الأخرى عبودية تجديد العهد، وهو حديث جميل ولأول مرة أقرأه اليوم والحديث في المسند عن يعلى بن شداد قال: حدثني أبي شداد بن أوّس (وعُبادة بن الصامت حاضر يُصَدِّقُه)_ أي يقول: نعم هذا ما حدث– قال كنا عند النبي ﷺ .. فقال النبي ﷺ "هل فيكم غريب؟" أي هل من أهل الكتاب أحد؟ فقلنا لا يا رسول الله فقال فأغلقوا الأبواب(أغلقوا باب المسجد، الصحابة فقط هم الذين سيشهدون هذا الموقف) فقال "ارفعوا أيديكم .." فرفعوا أيديهم فقال "قولوا لا إله إلا الله" فرفعنا أيدينا ساعة، فالنبي ﷺ يعلمهم تطبيق عملي على الكلام الذي نقوله فارفع يدك وقل له لا إله إلا أنت لا إله إلا الله...والنبي ﷺ لما كان يشتد في الدعاء كان يرفع يديه حتى يُرى بياض إبطيه؛ دلالة على أنه كان يرفعها إلى الآخر كما كان يصنع في الاستغاثة عندما كان يستغيث بالله، فقال لهم ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله قال فرفعنا أيدينا ساعة ثم وضع رسول الله ﷺ يده(أي أنزلها) ثم قال "الحمد لله، اللهم بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وإنك لا تخلف الميعاد ثم قال أبشروا فإن الله عز وجل قد غفر لكم" [ضعيف الترغيب والترهيب (924)]

ما رأيكم في هذه العبادة؟

عبادة تجديد العهد مع الله .. فتأتي في وقت من الأوقات لا تتكلم غير بالثناء على الله، ترفع يدك وتقول لا إله إلا الله وتُكررها،كأنك تُعيِّش نفسك في هذا الجو وهذا المناخ ولا يوجد غيرك وربك الآن فترفع نظرك وبصرك إلى السماء، وترفع يديك وتظهر له ضعفك وتُظهر له ذُلَّك وتجدد معه العهد على كلمة التوحيد، وهي سُنَّة فعلها النبيﷺ

عبادة التحرُز

تعالوا نرى عبادة أخرى وأنا كثيرًا ما أوصي بها وهي عبادة التحرُز، وما هو التحرُز؟ أن تكون في حِرز من الشيطان لأنه اليوم الشياطين دخلت بيوتنا بطريقة صعبة وأنا كلما أسأل عن أحوال الإخوة في بيوتهم يحزن القلب...فهناك من هو متعب لأنه يجلس في غربة لأن بيته غير ملتزم ومُعذَّب...وأخ وأخت تجد مشاكل واختلافات وطلاق، أو تجد هجر فتجد كل واحد في حال هو يقول أنا التزمت وهى لا تستطيع أن تكون معي أو العكس .. أمور صعبة فالشياطين دخلت في بيوتنا وتغلغلت في بيوتنا وتغلغلت في قلوبنا والنبيﷺ أمرنا صباح مساء أن نتحرز من الشيطان

وكان ﷺيقول من قال : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير . في يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومُحيَّت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي (أي معناها أن مائة في الصباح ومائة في المساء) ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به ، إلا أحد عمل أكثر من ذلك " [صحيح البخاري (3293)]

نُصلِّح البيت ولو بذلك ونُصلِّح أحوالنا مع الله سبحانه وتعالى، فمنهم من يقول أنا مُكتف وأشعر بالكسل والثُقل فما هذا إلا أفعال من الشيطان .. فهذه عبادة تحتاج لها وقت مثلها مثل الصلاة ومثل كل شيء تُسميه في حياتك عبادة.

عبادة المُتاجرة بالنوايـــا

عبادة أخرى عبادة المتاجرة بالنوايـــا، وأنا منذ قرأت هذا الأثر وصرت أقوله في كل درس وخطبة، واحد طالب علم ذهب يسأل علماء عصره وقال لهم لو سمحتم "أريد عبادة تستمر معي اليوم والليلة كلهم، ما هي؟" .. وهذا هو درسنا كيف يكون رمضان كله لله فنحن يمكن أن نحسبها في الصيام فقد وصلنا أن نصوم 16 ساعة فهذا معناه أنك تكون ثلثي اليوم فى عبادة فهذا ما يأخذه الصيام من وقت والقيام سيأخذ جزء من الليل ففي أفضل الأحوال لو من

العشاء إلى الفجر فسيأخذ ست ساعات وسيضيع منه بعض الوقت لن يستطيع أن يُكمل كل هذا متواصل، والذكر سيكون وهو مستيقظ...ماذا يفعل؟

فقيل له: قد وجدت بُغيتك اعمل ما استطعت من الطاعة ثم ما قَصُرَتَ عنه فهُمَّ به

أي أستطيع الصوم اليوم ولكن غدًا لا أستطيع ولن أستطيع الصيام السنة كلها

فما لا تستطيع فعله أنويه

فتقول: والله يا رب أنا ضعيف وكنت أحاول الصوم اليوم وأن أفعل كذا لكن كان هناك ترتيب أولويات فلو لم أفعل كذا كان سيترتب عليه كذا وكذا...أو مثلاً أنا أتقى يارب ألا يفتر لساني عن ذكرك ولكنني أحتاج أن أنام فأنام بنية أني غير منقطع عنك يارب فنائم وأنا على الذكر أقول أذكار قبل النوم وعندما أستيقظ أكمل ذكر فبهذا يكون النوم كله كان ذكر وباقي الوقت أنا كذلك فما قَصُرتَ عنه فهُمَّ به أي أنويه إذًا تتعبد الله بالنوايا.

قال النبي ﷺ: "إن أقواما بالمدينة خلفنا ، ما سلكنا شعبا ولا واديا إلا وهم معنا فيه، حبسهم العذر."

[صحيح البخاري (2839)]

عبادة السرائر

عبادة أخرى وأنا أجلس أعطيكم أفكار وليس هذا معناه أن هذا هو المطلوب فقط ولكن يجب أن تأخذ على هذا النموذج ثم تستحدث عبادات موافقة لك لكني أحاول أن أفتح لكم أبواب...عبادة السرائر {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} [الطارق / 9] وهم مَن يتعبدوا الله عز وجل بقلوبهم ويتعبدوا الله في الخفـــاء ويتعبدوا الله بالأعمال التي لا يراها أحد.

"من استطاع منكم أن يكون له خبء من عمل صالح فليفعل" [صحيح الجامع (6018)]

وهذا الحديث قلناها وقت أن كنا نتحدث عن التواضع والناس لا تكمل دائمًا هذا الحديث مع أن آخره أهم فعندما

قال ﷺ: "تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة، كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع" [صحيح الجامع (2962)]

أي أن النبي يقول يا له هذا رجل الذي يخرج للجهاد في سبيل الله وهو لا يهتم بهيئته ولا شكله فهو أشعث أي شعره غير مرتب ومغبرة قدماه في سبيل الله فهو لا يهتم بهذه المعاني يترك نفسه لله تبارك وتعالى، ثم يُقال له اجلس هنا أنت من سيسقي الجيش فيُوافق ليس لديه مشكلة أو يقال له أنت ستحرس اليوم فلا يواجهه مشكلة و لا يهمه أن يكون في الصف الأول ولا أن يكون القائد كل هذا لا يهم ولكن المهم أن أُحقق العمل وتجده يحب أن يكون في الساقة والحراسة بحيث لا يراه أحد .. فهذه هي عبودية الناس التي تتعبد الله عز وجل بالبواطن، فتعبد الله هز وجل بمثل ذلك.

عبد الله بن المبارك قالوا عنه جمع الخير كله، أي: لا يوجد صفة من صفات الخير تقرأ عنها وإلا وكانت في المبارك فهو جمع الخير كله ففي مرة من المرات خرج في غزو بلاد الروم فالتقى المسلمون بالعدو فخرج رجل كافر من العدو يطلب المبارزة (رجل شديد وأخذ يجول بين الصفوف) فخرج له رجل من المسلمين مُلثم فقتله فخرج له آخر (خرّجوا له أشد الفرسان) فقتله وهذا الرجل المسلم المُلثم كلما خرج له أحد من الكافرين يقتله وخرج الثالث فقتله فبرز له رجل آخر فقتله فاجتمع الناس عليه يعرفوا من هو فجعل يُغطي وجهه بكُم لئلا يعرفه أحد فجاءه رجل يُقال له أبو عُمر فرفع كُمَهُ عن وجهه ليعرف من هو فإذا هو عبد الله بن المبارك، فقال: يا أبا عُمر، أنت مِن مَن يُشنِّع عليَّ، أي جعلت الناس تعرف من يفعل هذا، فهم كانوا يتحايلون لإخفاء أعمالهم،

فتعبدوا الله عز وجل بذلك.

عبادة التيسير

تعبد الله عز وجل بعبادة التيسير فالنبي ﷺ قال:

"من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا و الآخرة" [صحيح مسلم]

فلو كان عندك أي شيء فيه عُسر فحاول أن تُيَسِّر على أي أحد

"والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه" [صحيح مسلم]

أو لو تخاف عورة أو عيب أو مشكلة فاستر تُستر واعف يُعف عنك

"من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة" [صحيح مسلم (2699)]

هل يوجد أحد في مشاكله الحياتية يفكر بهذه الطريقة؟

فمثلاً لو عندي مشكلة في بيتي أو في عملي أو في أي شيء فأول شيء يخطر على بالي للعلاج أن أحاول أن أغيث ملهوف أو أفرج عن أي أحد أعرفه ، كُربة مُعينة في استطاعتي مثل أن أجمع لأحد مال كي أقف بجانبه في مشكلته وأقول هذا الذي سيخرجني من الموضوع أم نحن نظل نحسب لها ونُخطط لها ونقول الخطأ منه أو منها ..

فأمامك الحل:

من يسّر يُسِّر عليه ومن فرّج يُفرّج عنه وهكذا...

عبادة الدلالة على الخير

العبادة الأخرى عبادة إن قَصُرْتَ على الخير فدُل عليه أي الدلالة على الخير،

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني أبدع بي فاحملني ". أي لا أجد دابة فاحملني لأني أريد أن أذهب إلى المكان الفلاني ولا أعرف فهو يطلب من النبي ﷺ أن يقوم أحد بهذا الأمر فقال (ما عندي) فقال رجل : يا رسول الله ! أنا أدله على من يحمله . فقال رسول الله ﷺ (من دل على خير فله مثل أجر فاعله). [صحيح مسلم– (1893)]

فإذا كنت لا أستطيع أن تفعل فعلى الأقل تدل عليه.

عبادة الشقاء لله

فعلينا أن نستحدث مثل هذه العبادات عبادة قلناها في كلمة واحدة عبادة الشقاء لله، فهل تعرف ما معنى أن تشقى لله؟ .. وأنا أقول عليها عبادة عرق الخدمة وكان يعجبني جدًا قول أحد المشايخ كان يقول: أن الشباب عندما يأتي

للاعتكاف في الغالب تكون ملابسه فهو لا يأخذ معه حقيبة مليئة بالملابس ولو كنا في موسم حار فيمكن أن يكون أثر العرق عليها، فهو يمكث في الاعتكاف عشرة أيام فكان يقول: "أنا أحب أن يُصلي به العيد" .. مع إن السنة أن تصلي بثوب حسن فهذا عيد، فكان يقول "لأن به أثر عرق الخدمة" .. فأنا كنت خادم لمدة عشرة أيام عاكف على عبادة ربي وأنا لا أطلب أن نفعل هذا ونخالف السُنَّة ولكني أتكلم على المعنى لكنني أتكلم في معنى أن أقف في الصلاة وعرقي شديد وفرِّح بذلك وأريد أن أشقى لله أكثر فقد شقيَّت في الدنيا كثيرًا فأريد أن أشقى أكثر ورجلي تؤلمني وظهري يؤلمني وأنا أقول زد زد حتى أشقى أكثر لله تبارك وتعالى،

قال ﷺ:" من اغبرت قدماه في سبيل الله؛ حرمه الله على النار .." [صحيح الجامع (6061)]

{وفي صحيح ابن حبان عن حُصين بن حرملة قال حدثنا أبو المصبِّح المقران} قال بينما نحن نسير في أرض الروم في طائفة عليها مالك بن عبد الله الخثعمي إذ مر مالك بجابر بن عبد الله الصحابي وهو يمشي يقود بغلاً فقال له مالك: أي أبا عبد الله اركب فقد حملك الله (أي مثلاً عندما تنوي أن تسير من البيت للمسجد يوم الجمعة حتى ترفعني كل خطوة عند الله عز وجل بثواب الرجل الذي صام سنة وقامها مع كل خطوة فتجد أحد من أصدقائك يقول لك اركب معي في السيارة) فقال جابر: أُصلح دابتي وأستغني عن قومي (قال لهم سآخذها وأطببها، وفي نفس الوقت أنا في غنى عن ذلك) وسمعت رسول الله ﷺ يقول "من اغبرت قدماه في سبيل الله؛ حرمه الله على النار... "

فماذا كان يفعل جابر في سبيل الله؟ فكام يُجاهد هكذا ؟ فهو كان ذاهب ليصلح الدابة ويذهب بها للطبيب البيطري فهل كان في عبادة بذلك؟ نعم فهو اعتبر أن هذا السير كي يُصلح الدابة أنه في سبيل الله وأن يكون عبادة من اغبرت قدماه في سبيل الله؛ حرمه الله على النار ... .

فأعجب مالكا قوله فسار حتى إذا كان حيث يسمعه الصوت، ناداه بأعلى صوت يا أبا عبد الله اركب فقد حملك الله فعرف جابر الذي أراد برفع صوته وقال: أصلح دابتي وأستغني عن قومي وسمعت رسول الله ﷺ يقول "من اغبرت قدماه في سبيل الله ؛ حرمه الله على النار ... ."

فوثب الناس عن دوابهم فما رأينا يوما أكثر ماشيًا منه....نزل جميع الناس ليأخذوا الثواب مثله وساروا يمشون في الطرقات هكذا ولا يركبون .. **فالشاهد هنا::** الشقاء لله.

عبودية خدمة الناس

وفي نفس هذا المعنى معنى آخر إذا كانت هذه الخدمة الله عبودية، فخدمة الناس عبودية ففي الصحيحين عن أنس رضيَّ الله عنه قال خرجت مع جرير بن عبد الله البجلي في سفر فكان يخدمني، فقلت له: لا تفعل، فقال: إني قد رأيت الأنصار تفعل برسول الله ﷺ شيئًا آليت ألا أصحب أحدًا منهم إلا خدمته ..

أنا خادم لمن خدَّموا على النبي ﷺ

فهل تعرفين أن تقولي أنا خادمة؟ وهل تعرفين معنى السيدة مريم؟ معناها الخادمة العابدة وهذا أشرف شيء وسُمّيَّ بها سورة في القرآن وذكرها في الآفاق وكَمُلَ من الرجال كثير ولم يَكْمُل من النساء إلا .. .وتُعَد منهم فهي من الأربعة نسوة مريم وآسيا بنت مزاحم وخديجة وفاطمة.

لماذا معنى مريم أي الخادمة؟

هل تعرفين أيتها المرأة أن تخرجي من درس اليوم وأنتِ تقولين أنا خادمة عند الله وخادمة لخَدَمة دين الله فتكسرى بها كبرك وتعيشين بها معنى من معاني التواضع؟ فهل تعرف أن تفعل أنت أيضًا يا رجل هذا المعنى وتتعبد الله سبحانه وتعالى بهذه العبودية عبودية الخدمة؟

يا من تقول لي: أنا مفتون بالعمل، فأقول لك: العمل عبودية

"ما أكل أحد طعاما قط ، خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده" [صحيح البخاري (2072)]

"اليد العليا خير من اليد السفلى واليد العليا اليد المنفقة " [متفق عليه]

"إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس" [متفق عليه]

فالعمل عبودية لو أنك تفهم، يا من تقول لي أنا مفتون بسبب الأولاد، ويا من تقولين أنا من وقت أن أنجبت لا أستطيع أن أمسك مصحف أقول لكِ

دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل ، فلم تجد عندي شيئا غير تمرة ، فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها، ولم تأكل منها، ثم قامت فخرجت، فدخل النبي ﷺ علينا فأخبرته، فقال: "من ابتلي من هذه البنات بشيء كن له سترا من النار" [صحيح البخاري (1418)]

أليس هذا هو الهدف؟

فلماذا نفهمها خطأ؟

إذاً تربية الأولاد هدف وعبودية على هذا المعنى

وعن أسامة بن زيد قال كان رسول الله ﷺ "يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الآخر، ثم يضمهما، ثم يقول: اللهم إرحمهما فإني أرحمهما" [صحيح البخاري (6003)]

النبي ﷺ يجعل ظهره للحسن والحسين ويجلس ويركبوه وهو يصلى وبعد أن ينتهي النبي ﷺ من الصلاة يقول له سيدنا أبو هريرة نأخذ الأولاد وندخلهم لأمهم فقال له اتركهما حتى بدأوا يُظهروا شيء من الضجر فقال له أدخلهما على فاطمة يأخذوا راحتهم ولم يقل عندما خرج وجدهما قال لم نستطيع أن نصلي وهذه ليست من أداب المسجد وكذا فهذه عبودية.

عبودية البر

توجد عبوديات مهجورة والناس اليوم لا تعرف قيمة من أعظم القيم وهى قيمة عبودية البر فالله سبحانه وتعالى جعل بعد حقه حق التوحيد عبودية البر للوالدين {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً...} [الإسراء / 23] وسيدنا عُمر ذهبوا له في قضاء فقالوا له هناك أحد قتل نفس وسُتر عليه فماذا يصنع ، ماذا نفعل به فلن يُقام عليه الحد لأنه سُتِّر عليه؟ قال فاسأله هل له من أم قالوا نعم قال فعليه ببرها فإني لم أرى عملاً يغفر ويُكفِّر الذنوب مثل بر الوالدين فهذا أعظم عمل فنَمَّ اجنة ونجد دائمًا عندنا مشكلة في تحقيق هذا العمل.

عبودية حُسن المُعاشرة

عبوديات كثيرة عبودية الزوج يا من تقول لي أنا مفتون بزوجتي والعكس يا من تقولى أنا من وقت أن تزوجت لا أعرف فهذه عبودية حسن المعاشرة ألم يكن النبي ﷺ موصيًا الرجال

"استوصوا بالنساء خيرا؛ فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه؛ فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج؛ فاستوصوا بالنساء خيرا" [صحيح الجامع (960)]

فاستوصوا بهن خيرًا فهذا الأمر من النبيﷺ على الوجوب أم الاستحباب؟ هل بهم فضل أم لا؟

أي هل أنت عندما يقول النبيﷺ لكل الجالسين خيركم (أكثرنا صياما أكثرنا صلاة أكثرنا ذكرًا خير الناس الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، خير الناس الصوامين والصوامات) لم يقل ذلك ولكن

قال "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي" [صحيح الجامع (3314)]

فأحسنكم من يُعامل زوجته هو أحسن واحد بيننا وأحسن واحدة تعامل زوجها هى أحسن واحدة فينا كلنا لأنه هو جنتك ونارك فنصف أسباب دخول الجنة هو زوجها صلت خسمها وصامت شهرها وحصنت فرجها وأطاعت زوجها

فهل اليوم لو لم تقرأ المرأة الورد الذي كانت تقرأه قبل الزواج فهي مفتونة؟

لا، أنتِ لست مفتونة فأنتِ من جعلتِ الزواج حظ نفس ومزاج ولذلك وجدتِ قلبك مفتون ولكن لو أصلحتِ النية وكنتِ تعاملين الرب فكانت المعاملة ستختلف ولن يكون هناك مشاكل في البيت ولن تكون هذه الأمور موجودة ولكن للأسف الشديد... وأنت كذلك نفس المشكلة عندما تسعى لحظ نفسك لم تصير "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي"

ولم تصير خير الناس ولذلك أصبحت مفتون وأصبحت تقول من وقت الزواج وأنا ضائع ومن تزوج فُتِّن...

يا ناس هذه عبوديات فافهموا كل واحد عنده عبودية .. فأنت متزوج عليك عبودية، وفي العمل عليك عبودية، وفي كل حال من الأحوال التي تتدرج فيها النساء في عبودية قبل الزواج عبودية والصبر على عدم الزواج في عبودية والصبر في الزواج عبودية وإحسان معاملة الزواج عبودية، والصبر وأنتِ في الحمل تقاسي آلام الحمل عبودية، فكل هذه عبوديات ..

فلماذا جعلتموها حظوظ نفس، فضعتم؟

نريد أن تُجدد هذه المعاني فيصير الحال أن يكون أمري كله لله لو استوصينا بهذه الوصية الذهبية فحينئذٍ يكون رمضان كله عبادة.

يتبقى معنا معنى نتدارسه في اللقاء القادم في لذة العبادة وتحقيق هذا المعنى واليوم أشرنا إليه إشارة ولكن نجعله في محاضرة كاملة، فنحن اليوم أخذنا أول معنى وهو كيف تكون الحياة كلها لله تبارك وتعالى والمرة القادمة نأخذ إحياء القلوب باستشعار لذة التعبُد إن شاء الله جلَّ وعلا.

ﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫ

فستذكرون ما قلت لكم وأفوِّض أمري إلى الله إنَّ الله بصير بالعباد

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أنْ لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلِم

ﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫ